دير القديس أنبا مقار
برية شيهيت

في اللاهوت

ألقاب المسيح

– ٢ –

المسيح

”ابن الله“

الأب متى المسكين

المســـــيح

"ابن الله"

rUrUr

هو اللقب المهيب، كــان مترسِّــخاً في التقليــد اليهــودي عــن شخص المسيَّا الآتي، باعتبــاره "ابــن الله"، ولكــن بصــورة غــير معروفة ولا مفحوصة. هذا التقليد نسمعه واضــحاً جليــاًّ في كــلام رئيس الكهنة الذي يعيده حســب التقليــد المســلَّم عــبر الأجيــال، وذلك عند سؤال المسيح أثناء المحاكمــة: «فأجــاب رئــيس الكهنــة وقال له: أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هــل أنــت **المســيح ابــن الله؟**» (مت ٢٦:٦٣). وفي إنجيل القــديس لوقــا جــاءت هكــذا: «فقال الجميع: **أفأنت ابن الله؟** فقال لهم: أنــتم تقولــون إني أنــا هــو »(لو ٢٢:٧٠). كما نقلوا عن المسيح قوله: إنــه «**ابــن الله**» بنــوع الاستهزاء هكذا: «وكذلك رؤساء الكهنة أيضــاً وهــم يســتهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا: خلَّص آخرين، وأما نفســه فمــا يقــدر أن يخلِّصها. إن كان هو ملك إسرائيل فلْينزل الآن عــن الصــليب فنــؤمن به. **قد اتكل على الله** فلْينقذْه الآن إن أراده، لأنه قــال **أنــا ابــن الله.** »(مت ٢٧:٤١-٤٣)

وفي التقليد المسيحي المبكِّر جــداً كــان أول مَــنْ نطــق بلقــب

المسيح كابن الله هو القـديس بطـرس، حينمـا نـال مـن الله الآب مباشرة الاستعلان الخاص بالمسيح، فقالهـا بوضـوح جـاعلاً لقـب المسيح أنه ابن الله هكذا: «أنت هو **المسيح ابـن الله الحـي**» (مـت ١٦:١٦). وقد شهد له المسيح أن الله هو الذي أعلن له.

ولأن لقب ”المسيَّا“ حسـب التقليـد اليهـودي كـان متصـلاً اتصالاً تقليدياً بلقبـه ”**ابـن الله**“، لـذلك نـال لقـب ”ابـن الله“ كاستعلان شخصي للمسيح نفس ما نال لقب المسـيَّا عنـد المسـيح من الحذر وعـدم ترديـده وعـدم الخـوض في حقيقتـه، حـتى لا يستخدمه اليهود للشكوى ضـده لـدى الرومـان باعتبـاره ملكـاً أرضياً سياسياً. ولأنـه بحسـب تقليـدهم، يجـيء ليحـارب الأمـم (الرومان) ويخلِّص إسرائيل ويقيم مملكة داود.

ولكن هذا لم يمنع المسيح من أن يقـول ويعمـل بسـلطان ”ابـن الله“ مما حيَّر اليهود وجعلهم يُسائلونه بـأي سـلطان تفعـل هـذا؟ فكان ردُّه على اندهاشهم أنه يعمـل أعمـال الآب، وأن مـا يقولـه هو كما يعلِّمه الآب، ناسباً إلى الآب كـل مـا كـان فائقـاً علـى المستوى البشري من أقواله وأعماله.

كما أنه قالها صراحة أنه ”ابن الله“ هكذا:

+ «فتناول اليهود أيضاً حجارة ليرجمـوه. أجـابهم يسـوع: أعمـالاً كثيرة حسنة أريتكم مـن عنـد أبي، بسـبب أي عمـل منـها ترجمونني. أجابه اليهود قائلين: لسنا نرجمك لأجـل عمـلٍ حسـن بل لأجل تجديف، **فإنك وأنت إنسـان تجعـل نفسـك إلهـاً!!** أجـابهم يسـوع: ألـيس مكتوبـاً في ناموسـكم أنـا قلـتُ

إنكم آلهة، إن قال آلهة لأولئك الذين صارت إليهم كلمة الله، ولا يمكن أن يُنقض المكتوب، فالذي قدَّسه الآب وأرسله إلى العالم أتقولون له إنك تُجدِّف لأني قلتُ **إني ابن الله.** إن كنتُ لستُ أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنت أعمل فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا **أن الآب فيَّ وأنا فيه.**» (يو ١٠:٣١–٣٨)

واضح جداً من محاجاة المسيح، أن الناس يمكن أن يُدعوا آلهة بحسب التوراة إذا صارت إليهم كلمة الله، ولكن المسيح بنوع ممتاز لم تَصِرْ إليه كلمة الله؛ بل كان هو **"كلمة الله"**، فكان من الحق أن يُدعى إلهاً وابناً لله، لأن الآب **قدَّسه** حال تجسده فصار قدوساً دون جميع الناس وأرسله كما جاء على فم الملاك للقديسة العذراء مريم «**القدوس المولود منكِ** يُدعى ابن الله» (لو ١:٣٥). معنى هذا أن تقديس المسيح لم يتم بعد ولادته؛ بل **هو القدوس أصلاً والمولود كذلك**، فهو إن كان يقول إنه ابن الله، فذلك ليس ادِّعاء بل هو ظاهر أمامهم قولاً وفعلاً أنه يعمل أعمال الله، لا كأنه يستوحي العمل من الله كأحد الأنبياء القديسين، ولكنه يعمل نفس عمل الله بتلقائية تنطق بصورة عملية أنه يعمل بسلطان الله ذاته.

فبالرغم من أن المسيح أثناء العماد تقبَّل من الله إعلاناً وشهادة أنه ابن الله الذي به سُرَّ، إلاَّ أن المسيح لم يستخدم شهادة الله له لأنها كانت مرسلة له هو خاصة، فوضعها في قلبه وانطلق على أساس هذه الشهادة يعمل أعمال الله كابن. والمسيح لم يستعمل

بنوَّته لعمل المعجزات والآيات التي عمل، ولكنه قــدَّم بنوَّتــه طاعــة مذهلة لا يقوى عليها إلاَّ ابن له عنــد الآب دالَّــة، اســتطاع بهــا أن يقتحم دون خوف الموت على الصــليب، لأنهــا كانــت إرادة أبيــه وهو على يقين أشد اليقين أنه سيقوم ويتمجَّد بالمجد الــذي لــه قبــل إنشاء العالم ويرتفع فوق جميع السموات، ليُعلن للعــالم كلــه بســمائه وأرضه أنه إنما **أطاع حتى الموت كــإبن حقيقــي ليتمجَّــد الله أبــوه** ويصالح له العالم، بهذا الموت عينه.

كذلك فبالرغم من أن المسيح تقبَّــل نفــس الشــهادة مــن المجــد الأسنى من الله من السماء أنه «الابن الحبيــب» بشــهود مــن العــالم الآخر: واحد يمثِّل الناموس، وآخــر يمثِّــل النبــوَّة، موســى وإيليــا، وبحضور تلاميذه: واحد يمثِّل المحبــة، وآخــر يمثِّــل الجــراءة، يوحنــا وبطرس؛ إلا أنه لم يستخدم هذه الشهادة، لأنه اعتبرهــا لــه خاصــة كإبن، وقد جعل له أبوه النــاموس عضــداً والنبــوَّة مَــدَداً، ليكمــل خروجه خارج أورشليم ويتقبَّل موته، محققــاً بموتــه مجــد النــاموس ومجد النبوَّة كذبيحة كفَّارة كفيلة بأن تكمــل كــل النــاموس وكــل النبوات. فسار المســيح يشــجِّعه النــاموس وتدفعــه النبــوة حــتى الصليب، وشرب الابن الكأس من يد الآب حــتى قــال قــد أُكْمِــلْ. فكان الصليب أعظم شهادة أن المسيح هو ابن الله حقــاً وربــــاًّ لمجــد الله (في ٢ : ١١). وأصبح كل مَنْ يــؤمن بالصــليب، يــؤمن بالمســيح أنه ابن الله حقاً. لقد نطقها قائد المئة عــن إعجــاب بالمســيح مَلَــكَ عليه قلبه وفكره: «ولما رأى قائد المئة الواقــف مقابلــه أنــه صــرخ هكذا وأسلم الروح قــال: **حقــاً كــان هــذا الإنســان ابــن الله**»

(مر ١٥:٣٩). ومهما استصغر العلماء والنقاد من تعبير قائد المئة أن المسيح كان في نظره "ابن الله"، باعتباره ضابطاً وثنياً، إلاَّ أنه يكفيه أنه قدَّم أعظم شهادة عنده!! تُساوي عندنا الآن أعظم اعتراف وأقوى إيمان.

كذلك هذا الاعتراف المحاط بهالة من المهابة والمجد الذي قدَّمه التلاميذ بعد أن هاج عليهم البحر بأمواجه العاتية، وهبَّت الرياح لتذيقهم الموت عياناً، وإذا به يتقدَّم إلى قاربهم الذي تتقاذفه الأمواج «ولما دخلا (المسيح وبطرس) السفينة سكنت الريح، والذين في السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين: **بالحقيقة أنت ابن الله**» (مت ١٤:٣٢و٣٣). فمهما استصغر العلماءِ والنقاد من هذا الاعتراف الصادق الخارج من قلب مفعم بالخوف والرهبة والشكر والفرح معاً، فإنه يُعتبر على مستوى أعظم اعتراف يعترف به اليوم أعظم لاهوتي من حيث تقديرهم لمعنى بنوَّة الله كأعلى رتبة يمكن أن يوصف بها مخلِّص!

وكما يقولون، إن أعظم شهادة تأتي من أعظم عدو، فهذا هو الشيطان ـ الملاك الساقط من رتبته ـ الذي أُعطِيَ أن يجرِّب المسيح بآخر ما عنده من مكر وخداع. وقد حبك الخطة لكي يستخدم شهادة الله للمسيح على نهر الأردن فرصة لإسقاطه من طاعة أبيه، ذلك بأن حاول أن يوحي له باستخدام سلطانه الخاص من دون أبيه واضعاً فيه لقب "**ابن الله**" موضعِ الشك: «**إن كنت ابن الله، فقُلْ** أن تصير هذه الحجارة خبزاً» (مت ٤:٣)، وكان الرب صائماً لأربعين يوماً، وقد جاع أخيراً. فالتفت المسيح إليه

متمسكاً **بالطاعة لكلمة الله:** «مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان؛ بل بكل كلمة تخرج من فم الله» (مت ٤:٤). وهكذا أثبت المسيح أنه حقاً ابن الله، وأن له حياةً في ذاته هي في غِنَى عن خبز الجسد: «كما أن الآب له حياة في ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته.» (يو ٥:٢٦)

ثم عاد الشيطان أيضاً ليشكِّك في بنوَّة المسيح للآب على نفس المستوى وبنفس الغرض: «**إن كنت ابن الله**، فاطرح نفسك إلى أسفل (من فوق جناح الهيكل). لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك» (مت ٤:٦). فبادره بالقول ومن نفس المكتوب: «لا تجرِّب الرب إلهك »(مت ٤:٧). وهكذا أثبت المسيح لثاني مرة أنه ابن الله بالحق، إذ رفض أن يجرِّب أباه بل يحيا في طاعته.

وهكذا كانت عين الشيطان مسلَّطة على استعلان الله لشخص المسيح كما سمعها على نهر الأردن أنه ''ابن الله''. فكانت محور تجاربه ليشكِّكه في ما هو متيقِّنٌ منه، فلم يستطع. وبهذا شهد الشيطان رغم أنفه أن المسيح هو ابن الله. وهذه المحاورة تكشف عن معرفة الشيطان أن المسيح كان متيقِّناً في ذاته أنه ابن الله، وهدفه أن يثنيه عن طاعته البنوية لله أبيه بإغرائه على استخدام سلطانه الخاص دون تدبير من الآب. لأن الواضح من حياة المسيح وكل أعماله، أنه لا يعمل من ذاته؛ بل كل ما يُريه الآب، هذا يعمله. فرسالة الابن الأولى والعظمى كانت في طاعته للآب حتى الصليب.

فمن تجربة الشيطان على الجبل ندرك ونتيقن أن المسيح كان

معروفاً تماماً لدى الشيطان أنه **ابن الله**، وأن المسيح غلب الشيطان بطاعته المطلقة لله، فأثبت أنه ابن الله حقاً.

ولكن، لا من تجربة الشيطان، ولا من سؤال رئيس الكهنة، ولا من علاقة لقب المسيَّا بابن الله كما انحدر في التقليد اليهودي؛ عرف التلاميذ أن المسيح هو ابن الله. إذاً، فالسؤال الآن: من أين استقر في الكنيسة الأولى أن المسيح هو "**ابن الله**" عن تحقيق وإيمان؟ أما الجواب فهو: أنه لا يوجد أي مصدر لذلك سوى **المسيح نفسه** بتصريحه أحياناً، أو من جراء معرفته الفائقة بالله كآب وتكراره لذكر الله أنه أبوه الحقيقي. وأكثر الآيات التي ألهمت الكنيسة بأن المسيح هو ابن الله حقاً، قوله الذي حقَّقه بأعماله أن «ليس أحد يعرف الابن إلاَّ الآب، **ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن**، ومَنْ أراد الابن أن يُعْلِنَ له» (مت ١١:٢٧). ومعرفة المسيح بالله كابن الله كان يشهد لها دالته الشديدة لله، سواء في صلاته بينهم (التلاميذ)، أو في حديثه الذي كان يُلهب قلوبهم إذ قرروا أن «كلام الحياة الأبدية عندك!!» (يو ٦:٦٨). أما المعجزات والآيات، فكانت تأتي تدليلاً على أنه ابن الله وليست سبباً. وليس أدلَّ على ذلك من قوله لتلاميذه: «... مَنْ يؤمن بي (كابن) فالأعمال التي أنا أعملها، يعملها هو أيضاً ويعمل أعظم منها!!» (يو ١٤:١٢)

ولكن الذي رسَّخ عقيدة ابن الله في قلوب التلاميذ والكنيسة الأولى بعد تقبُّلهم لهذه المعلومة من فمه؛ إن صراحة، وإن تلميحاً، وإن تدليلاً بأعماله؛ هي النبوات. فالمزمور الثاني كان له أوضح تأثير في قلوب

التلاميذ من جهة عقيدة الإيمان أن المسيح هو ابن الله. وهذا واضح من استخدامهم لهذا المزمور في صلاتهم لله بعد ما ضُرِبوا وأهينوا من أجل اسم المسيح بعد يوم الخمسين بقليل هكذا: «فلما سمعوا (خبر ضرب بطرس ويوحنا) رفعوا بنفس واحدة صوتاً إلى الله، وقالوا: أيها السيد أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيها، القائل بفم داود فتاك: لماذا ارتجت الأمم وتفكَّر الشعوب بالباطل. قامت ملوك الأرض واجتمع الرؤساء معاً على الرب **وعلى مسيحه**. لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس، يسوع الذي مسحته، هيرودس...» (أع ٤:٢٤-٢٧). أما بقية المزمور فيقول صراحة: «... إني أُخبر من جهة قضاء الرب: **قال لي أنت ابني، أنا اليوم ولدتُك**. اسألني فأُعطيك الأمم ميراثاً لك، وأقاصي الأرض مُلْكاً لك.» (مز ٢:٧و٨)

هكذا بمنتهى الوضوح أعطى الله النبوة على فم داود ليُعلن أن **مسيحه هو هو ابنه بالدرجة الأولى**. ولكن لنا ملاحظة هامة: أن إعلان الله «أنا **اليوم** ولدتُك» ليست إشارة إلى يوم ميلاده من العذراء؛ بل إلى ميلاده الجديد بالقيامة من الأموات. وهو أعظم أيام البشرية، لأن يوم وُلد ابن الإنسان بالقيامة من الأموات، وارتفع إلى أعلى السموات ليجلس عن يمين أبيه؛ كانت البشرية فيه بالجسد قائمة شريكة وممجَّدة بمجده.

فقول الله في المزمور «أنا **اليوم ولدتُك**» كان هو يوم الخلاص للبشرية كلها من اللعنة وفكها من قيود الخطية والموت. فكان بالحق مولد ابن الإنسان، آدم الثاني، من الأموات هو اليوم الذي فيه وُلدت البشرية من جديد للحياة الأبدية الجديدة. ولهذا

رتبت الكنيسة في طقس معموديتها منذ أول ممارستها له أنشودة الميلاد العظمى التي يقولها الشاهدون لمعمودية الإنسان المعمَّد: « استيقظ أيها النائم وقُمْ من الأموات، فيضيء لك المسيح...!!» وقد أوردها بولس الرسول في رسالته إلى أفسس حينما قال: « لذلك يقول: استيقظ أيها النائم وقُمْ من الأموات، فيضيء لك المسيح.» (أف ٥:١٤)

كذلك أيضاً كانت نبوة دانيال مضيئة ورائدة لذهن الكنيسة في استشفافها لصدق وواقعية لقب ابن الله للمسيح، حيث يتضح من قول النبوة: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سُحُب السماء **مثل ابن إنسان، أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدَّامه. فأُعطِيَ سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب** والأمم والألسنة، سلطانه سلطان أبديٌّ ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض.» (دا ٧:١٣و١٤)

فالتلاميذ الذين عاينوا انطلاق المسيح يوم صعوده، وقد أخذته سحابة عن عيونهم وسمعوا تأكيد الملائكة لهم أنه «ارتفع عنكم إلى السماء» (أع ١:١١)، قارنوا هذا بوعد المسيح السابق والمؤكَّد لديهم القائل: «لا تضطرب قلوبكم. أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بي. في بيت أبي منازل كثيرة... **أنا أمضي لأُعدَّ لكم مكاناً**...» (يو ١٤:١و٢). هكذا علموا من المسيح أنه ذاهب إلى الآب، وهكذا تيقنوا من دانيال أيضاً قوله: «أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقرَّبوه قدَّامه. فأُعطِيَ **سلطاناً ومجداً وملكوتاً** لتتعبد له كل الشعوب والأمم...» (دا ٧:١٣و١٤). فوضح أمام أعينهم أن ''ابن الإنسان'' الذي طالما سمعوه من المسيح، هو هو ''الابن'' الذي

«قدَّموه إلى ـ الآب ـ العتيق الأيام» ليأخذ «سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم» وبالقدر الذي أدركوا أنه ابن الله، أدركوا رسالتهم التي أخذوها منه: «فتقدَّم يسوع وكلَّمهم قائلاً: دُفِعَ إليَّ **كل سلطان** في السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمِذوا جميع الأمم، وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس...» (مت ٢٨:١٨و١٩)

فالمسيح الذي نسب إلى نفسه لقب **ابن الإنسان** عن جدارة وبحسب نبوة دانيال كان يُدرك حقاً ويقيناً أنه **ابن الله!** وهكذا باليقين الذي عاشه المسيح وسط تلاميذه أنه ابن الله، كان نفس اليقين الذي انطلق منه التلاميذ والكنيسة الأولى تنادي به وتؤمن وتعترف به أنه ابن الله.

كذلك لما ألحَّ المسيح في التعبير عن نفسه أنه "**ابن الإنسان**"، كان هو نفس الإلحاح بالأقوال والأعمال ليوضِّح لتلاميذه أنه "ابن الله". **وبسلطان الله** كان يقول ويعمل بل يموت ويقوم!! لهذا يُنادي بولس الرسول: «وتعيَّن ابن الله... بالقيامة من الأموات.» (رو ١:٤)

أما عند المسيح، فكان لقب "**ابن الله**" طاغياً على كل مَلَكاته، وقد ربطه هذا الشعور بالله كأب كان يراه دائماً حاضراً معه كل حين «وأنا لست وحدي لأن الآب معي» (يو ١٦:٣٢). وكان هذا الشعور بهذا اللقب مصدر أمانه وسلامه وافتخاره وعمله « ولكن ليفهم العالم أني أُحب الآب، وكما أوصاني الآب هكذا أفعل!» (يو ١٤:٣١)

وكان يحزن في نفسه حزناً لا يدركه العالم، حينما كان يمجِّد

أباه ويكرمه بالقول والعمل، واليهود يهينونه: «أجاب يسوع أنا ليس بي شيطان لكني "**أُكرم أبي**" وأنتم تهينونني» (يو ٨:٤٩). أما فخر بنوَّته لله أبيه، فقد بلغ إلى القمة لما ارتضى أن يستلم كأس الموت والعذاب من يد أبيه، وقد ألغى إرادته «لتكن لا إرادتي بل إرادتك »(لو ٢٢:٤١)، وأطاع إرادة أبيه حتى الموت!!

وهكذا بطاعة الابن لأبيه حتى الموت، قبلنا نحن رفع الموت عنَّا، وقبلنا من الآب الحياة. وسنظل مديونين لبنوة المسيح لله ولطاعته حتى الموت، لا بحياتنا وحسب؛ بل وحصولنا على بنوة الله فيه. وهكذا أصبح لقب **ابن الله**، هو أساس إيماننا الذي نستمد منه الحياة.

أما أساس مديونيتنا لابن الله، فهو الإنجيل الذي لا يخاطبنا كعبيد بعد، بل كأبناء وأحباء، وذلك في ابنه. فعطف الله نحونا إنما يعبُر إلينا من خلال عطفه وحبه لابنه الوحيد. وحبنا نحن لله لا يمكن أن نرفعه منَّا إليه مباشرة، وإنما من خلال حب الابن للآب، نقدِّم حبنا لله كأبناء في المسيح. بل والحياة التي سنحياها عتيداً في ملكوت الله هي نابعة من حياة الابن المفتوحة على الآب. كذلك فالمصالحة التي تمت لنا مع الآب، إنما تعبر إلينا من خلال صليب ابنه: «ولكن الكل من الله الذي **صالحنا لنفسه بيسوع المسيح**... أي إن الله **كان في المسيح مُصالِحاً العالم لنفسه** غير حاسبٍ لهم خطاياهم...» (٢كو ٥:١٨و١٩)

وبالنهاية نحن لن نبلغ قمة خلاصنا ومصالحتنا مع الله الآب إلاَّ بتوسُّط الابن، باعتباره واحداً مع الآب!! فمن وحدة الابن مع

الآب نستلم ملء الحب والغفران والخلاص والتبني والمجد، وأخيراً الشركة ودوام الحياة «ليكون الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فيَّ وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا... **وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً** كما أننا نحن واحد. **أنا فيهم وأنت فيَّ** ليكونوا مكمَّلين إلى واحد، وليعلم العالم أنك أرسلتني **وأحببتهم كما أحببتني**.» (يو ١٧: ٢١-٢٣)

وهكذا يتضح أمام القارئ قيمة البنوة العظمى التي للمسيح في الله. فبسبب حب الآب للابن، أخذ الابن كل ما لله؛ وبسبب تجسد الابن، أعطانا الابن كل ما له. وهكذا صارت بنوة الابن لله مصدر كل عطايا الله لنا. فبالابن صرنا قريبين من الله، بل أبناءً وأحباءَ؛ أما بدون الابن فلن نملك شيئاً مما لله، بل نظل غرباء وربما أعداء وتحت الغضب (يو ٣: ٣٦).

وليس عبثاً يبتدئ كل من إنجيل القديس مرقس وإنجيل القديس يوحنا بعماد المسيح وإظهار الإعلان السماوي «أنت ابني الحبيب الذي به سُررت» (مر ١: ١١). فهذا هو التعريف السماوي بمَنْ هو المسيح، بتسجيل سماوي سمعه المعمدان وشهد به. وبهذا اللقب انطلق المسيح بالإنجيل يكرز بقرب ملكوت الله كابن ووريث، وينادي بالتوبة للخلاص. فقد انفتحت السموات على قضية الإنسان، وظهر الشفيع والمحامي الذي سيتبنَّى قضية الإنسان ويرفع الحكم باللعنة والموت، ويراهن على كسبها لحسابنا بدمه!! فليس إلاَّ الابن مَنْ قد استحق أن يرفع غضب الله بطاعته وبرِّه وطهارة قلبه ويديه، ويكمِّل المصالحة والسلام بذبيحة نفسه على مرأى من

السمائيين والأرضيين.

وبمجرد أن رأى المسيح السماء تنفتح لصلاته وهو خارج من المــاء، وصوت الآب يرنُّ من السماء فتتجاوب أصداءه الدهور «أنــت ابــني الحبيب» حتى بدأ في قلبه استعلان درب الصليب واحتضنه المسيح منــذ البداية بطاعة أكملته حتى النهاية، ومن تلك الساعة لم يغب ظِلُّ الصليب عن وعيه، فإرادة أبيه بتكميل الموت صارت مسرَّة نفسه، ولم يعُدْ يــرى لنفسه إرادة إلاَّ طاعة الآب كما كان منذ الأزل. وبهذه الوحدة الأزلية مع الآب، دخلِ التجربة إزاء الشيطان، لا كما دخلها آدم فانــدحر ونــال الموت عقاباً؛ بل كابن في حضن أبيه دحر الشــيطان بطاعتــه لله حــتى الموت. فصرع الشيطان وانتزع حكم الموت من بين أسنانه الذي صــدر علينا بسببه.

وهكذا انكشف لبولس الرسول سر الله والمســيح الــذي اســتؤمن عليه، فقال:

+ «فليكن فيكم هذا الفكر الذي في المسيح يسوع أيضاً؛
الذي إذ كان في صــورة الله ـ لم يحســب خلســة أن يكــون معادلاً لله؛
لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شِبه الناس؛
وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطــاع حــتى المــوت موت الصليب؛
لذلك رفَّــعه الله أيضاً وأعطاه "**الاسم**" τὸ ὄνομα (رب) الذي فوق كل اسم؛
لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة مِمَّن في السماء ومَــنْ علــى

الأرض ومَنْ تحت الأرض؛ ويعترف كـل لسـان أن يسـوع المسيح هو ''**ربٌّ لمجد** الله'' الآب.» (في ٢:٥-١١)

هنا وفي هذه المقولة اللاهوتية الغنية نتحسس مـاذا فعـل صـوت الآب من السماء على نهر الأردن، حين دعاه «**أنـت ابـني** الحبيـب الذي به سُررت» كيف صار فيه الفكر أنه الابـن المعـادل لـلآب، ليس خلسة بل بشهادة الآب وتوثيقه!! ولكن هـذا لم يمنعـه مـن أن يُخلي ذاته من كل مجد ظاهر ويتجسـد كإنسـان، ثم يأخـذ لنفسـه صورة العبد لكي يؤدي الطاعة التي لا يسـتطيعها إلاَّ ''عبـد'' وهـو الابن. هذه الطاعة التي قيَّمها الله أبوه بـأن رفَّـعه إلى سـابق علـو مجده وأجلسه عن ''يمينه''.

هكذا وبدالة الابن كان المسيح عالماً بكل ما سـيأتي عليـه، فقبلـه وحيَّاه قبل أن يأتي، وأَوْلَم وليمة لـذكرى صـلبه قبـل أن يُصـلب، وسفك بيديه دمه وأودعه كأسـاً وسـقى تلاميـذه، ومـن الجسـد اقتطع وأطعم أحباءه؛ فصـار الإنسـان شـريكاً في العهـد الجديـد بسفك الدم وذبح الجسد، فنال من الرفعة ما نالـه المسـيح، وجلـس معه كما جلس الابن عن يمين الآب.

فلـولا حقيقة ابن الله التي كان يحياها المسيح مـع الآب، مـا اسـتطاع أن يطيع وما استطاع أن يجعل الصـليب وليمـة حـبٍّ يقـدِّم فيهـا ذبيحـة جسـده للآب عن حياة العالم كمشيئة أبيه. كمـا أنـه لـولا أن الذي صُلب هو حقاً ''ابن الله''، ما رُفعـت خطيـة لإنسـان ومـا انفتح ملكوت لكـل أحـد! إذاً فقـد تعمَّـد الآب أن يُسـمعه صـوته مرتـين: «أنت ابني الحبيـب الذي به سُـررت» ليعضِّـده في رحلـة

الموت الرهيبة، وحتى يطأ المـوت ومَـنْ لـه سـلطان المـوت بـوعي الانتصار، ليعـرف مَـنْ في السـماء والأرض أنـه ابـن الله!! وبجسـد الإنسان الذي أغراه الشيطان يومـاً في الفـردوس ليعصـي الله ويخـالف الوصية، سحق ابنُ الله رأس الحيَّـة علـى الخشـبة واكتسـب للإنسـان عودة سعيدة وأبدية إلى أحضان الله.

لذلك ومنذ أن وُلـد، رافقتـه إعلانـات الله، بل وهو في الـبطن جنين من فم الملاك: «... فلذلك أيضاً **القدوس** المولود منكِ **يُدعى ابن الله**» (لو ١:٣٥)، «وها أنتِ ستحبلين وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. **هذا يكون عظيماً وابن العلي يُدعى**...» (لو١:٣١و٣٢)

هذه الوعود التي قيلت فيه عرفها بالروح وسـكنت قلبـه ووعيـه، ورددها كما هي للكتبة والفريسيين: «**فالذي قدَّسه الآب وأرسـله إلى العالم**، أتقولون له إنك تجدِّف لأني قلت **إني ابن الله**.» (يو ١٠:٣٦)

والذي قيل في المسيح بشهود، وَعَتْـهُ حـتى الشـياطين وصـرخوا في وجهه: «آه ما لنا ولك يا يسوع الناصري، أتيـتَ لتُهلكنـا، أنـا أعرفك مَنْ أنـت "أنـت **قـدوس الله**"» (مـر ١:٢٤)، «والأرواح النجسة حينما نظرته خرَّت له وصرخت قائلةً: إنـك أنـت **ابـن الله**»(مر ٣:١١)، وأخيراً نطق التلاميـذ: «يـا ربُّ إلى مَـنْ نـذهبُ، كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن قد **آمنَّا وعرفنا** أنـك **أنـت المسـيح ابن الله الحي**.» (يو ٦:٦٨و٦٩)

وفي مَثَل الكرَّامين الأردياء، يكشف المسيح كمـا في لغـزٍ واضـحٍ أنه الابن الوحيد المحبوب هكذا:

+ «فإذ كان له أيضاً ابن واحد حبيب إليه، أرسله أيضاً إليهم أخيراً قائلاً: إنهم **يهابون ابني**. ولكن أولئك الكرَّامين قالوا فيما بينهم: هذا هو الوارث، هلموا نقتله فيكون لنا الميراث. فأخذوه وقتلوه وأخرجوه خارج الكرم...» (مر ١٢:٦-٨)

على أن الكتبة والفريسيين أدركوا من هذا المثل ومن لقب الابن الواحد الحبيب، أنه يتكلَّم عن نفسه، وبالتالي أنهم هم القتلة. ففي الحال تحرَّكوا ليرجموه.

والآن نختم بحثنا المختصر هذا عن "الابن"، ابن الله، هذا اللقب الجليل، بهذا النشيد الإلهي:

+ «في ذلك الوقت (بعد اعتراف بطرس[1]: أنت هو المسيح ابن الله الحي) أجاب يسوع وقال: أحمدك أيها الآب رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه (المسيح ابن الله) عن الحكماء والفهماء، وأعلنتها للأطفال (التلاميذ). نعم أيها الآب لأن هكذا صارت المسرة أمامك. كل شيء دُفِعَ إليَّ من أبي، وليس أحد يعرف الابن إلاَّ الآب، ولا أحد يعرف الآب إلاَّ الابن، ومَنْ أراد الابن أن يُعلِن له!» (مت ١١:٢٥-٢٧)

(أكتوبر ١٩٩٣)

---

[1] واضح من إنجيل القديس لوقا (وهو مؤرخ مدقِّق) أن قول الرب هذا: «أحمدك أيها الآب...» الذي ورد في الأصحاح العاشر (لو ١٠:٢١و٢٢)، جاء بعد اعتراف القديس بطرس الذي ورد في الأصحاح التاسع (لو٩:١٨-٢٠)، ولو أن إنجيل القديس متى لم يتقيَّد بالترتيب الزمني للحوادث.